طلابنا بين العلم والأدب

الآداب تستفتي

« لاحظتم ولا شك ان الطلاب اخذوا يؤثرون في هذه الفترة الالتحاق بشعب الدراسة العلمية الصرف ، على الالتحاق بشعب الدراسة الادبية والتاريخية والانسانية ، وكل ما يدخل تحت باب « الأدب » بمعنـــاه العام . فماذا تعلّلون هذا الاتجاه الجديد عند طلابنا ، وهل تجدون فيه بادرة خير إزاء الفكر العربي في العصر الحاضر، ولماذا؟»

هذا هو موضوع الاستفتاء الذي طرحته «الآداب» على عدد من رؤساء الجامعات ومديري المـدارس الكبرى في لبنان فتلقت الأجوبة التالية :

ظاهرة طبيعية

ان ما تبينتموه من تحول طلابنا – او بالاحرى تلاميذنا في الدوائر الثانوية – الى الفروع العلمية ، وتطليقهم شعب الدراسة الادبية والتاريخية والانسانية ، ظاهرة طبيعية في لبنان ، وفي معظم بلدان العالم في الوقت الحاضر.

ومرد الامر ان الراغبين في نيل الشهادات الرسمية يحسبون بدقة امكانياتهم في كل مادة من المواد ، فيتبينون بجلاء ان حظهم من النجاح في الفرع العلمي أوفر منه في الفرع الادبي ، فيتهافتون على الاول ، ويهجرون الثاني .

وتتلخص بواعث الحالة الحاضرة في سببين اثنين يتلاقيان في نتيجتيها :

١ – ان المبرزين في العلوم والرياضيات يحرزون في الامتحانات الرسمية علامات قصوى تتراوح بين ١٥ وعشرين ، وبذلك يضمنون الفوز على أيسر سبيل في المجموع . في حين ان اللامعين في مسابقتي الادبين العربي والاجنبي ينالون غالباً علامات لا تزيد على المعدل الا بقليل ، وذلك لتفاوت أحكام الممتحنين ، ولأن الادب فن لا يقوم على اساس راسخ من الوضعية . فاذا اختاروا الفرع العلمي ، وأعدوا ما يفرضه من مواد مقررة معروفة يأمنون المفاجآت . ولا يخفى أن الذين يجيدون أدبين معاً إجادة تامة هم قلة في كل بلد من البلدان ، فتجويد احدهما يتم على حساب الاخر .

٢ – يميل كثير من التلاميذ الى اهمال اللغة الاجنبية ، ولا سيما في معظم معاهدنا الوطنية ، ويعوضون عن هذا الضعف باعداد الفرع العلمي حيث تحسب هذه المادة على عشرين ، وتكون نسبتها الى المجموع واحداً من سبعة .

من الثابت ان الاتجاه نحو الدراسة العلمية صادر عن ذهن حاسب موازن بين حظوظ الفوز ، ولا أثر فيه للتوجيه النفعي أو الواعي ، وهذا مما يؤسف له . وذلك ان أغلبية التلاميذ الناجحين في القسم الاول من الفرع العلمي يعودون فيتابعون الدروس الفلسفية في القسم الثاني ، ثم ينتسبون إلى كليات الحقوق والطب والعلوم السياسية . وتشكو هذه المعاهد من التخمة الآن اكثر مما كانت تشكو في الماضي . والواقع ان سياسة الانتداب التي فرضت علينا مناهج لسانية لتخريج طلاب وظائف ، فعددت المواد النظرية والانسانية والبقاية ، وقضت على التعليم العلمي والمهني ، وأقصت أبناءنا عن المختبرات والمحارف والمصانع والحقول ، لا تزال متبعة عندنا الى الوقت الحاضر ، في حين ان فرنسة نفسها عدلت مناهجها مرات عديدة منذ عام ١٩٣٨ بحيث أصبحت مطابقة لمصلحتها الوطنية. وفي احصاء صدر أخيراً في فرنسة يتضح لنا ان عدد التلاميذ الذين يعنون بالأدب والتاريخ لا يزيد على سبعة وخمسين في الالف ، والباقون ينصرفون الى علوم نفعية كالزراعة والصناعة والمهن اليدوية . ولسنا بحاجة الى القول بان هذا التعليم وحده هو الذي يخلق في تلاميذنا روح الاعتماد على النفس ، ويعودهم بذل الجهد ، ويرفع شأن البلاد ، ويؤدي الى استقلال اقتصادي حقيقي ، وبالتالي الى استقلال سياسي واقعي .

جبور عبد النور
مدير الدروس العربية في الكلية العلمانية الفرنسية

ضرورة إعادة التوازن

لا شك في ان الطلاب قد أخذوا منذ سنوات عدة يميلون الى الالتحاق بالفرعين العلمي والرياضي في دراستهم الثانوية لنيل شهادة البكالوريا ويؤثرونها على الفرعين الادبي والفلسفي. وتلك ظاهرة رحبنا بها وهللنا لها عند بدء ظهورها اعتقادا منا ان بعض ناشئتنا قد بداوا يدركون خطورة تلك العلوم في حضارة عصرنا ، وضرورة تزودنا منها ما دمنا نبتغي الالحاق بموكب الحضارة ونتطلب احتلالنا مكان الصدارة منه . غير اننا ما لبثنا ان رأينا الموجة تحرف معظم شبابنا مما اضطرنا الى التروي في الحكم بفائدة ذلك . اذ لاحظنا ان هذا الانحراف عن الآداب والفلسفة سيكون له عاجلاً أو آجلاً من النتائج ما لا نرضاه ولا هو في صالحنا . ذلك لأن الحياة المثلى انما تقوم على التوازن بين هذين القطبين من الحياة ، وأعني بهما الادبي والفلسفي والعلمي الرياضي .

وأما تعليل ذلك الاتجاه فيرجع ، في اعتقادي ، الى ما يلي :

أولاً – ان الفئة الموهوبة من شبابنا قد فهمت بحق فائدة تلك العلوم العملية التكنيكية التي سيطرت على مرافق الحياة في عصرنا هذا فكان من الحق ان تميل بحكم مواهبها الطبيعية وادراكها الصحيح الى الالتحاق بفرعي العلوم والرياضيات لاتخاذهما مرتكزاً في تحصيلها العالي للتخصص .

ثانياً – إن فئة ثانية ما لبثت ان آثرت هي ايضاً ان تتجه الى ذينك الفرعين وتنكب الطريق الى الآداب والفلسفة لا بحكم المواهب عندها بل بسبب تنطع بعض المصححين ممن كانت تقذف بهم وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة للعمل في امتحانات البكالوريا ولاختلافهم في الرأي بعضهم مع بعض فيما يقدمه الطلاب من اجوبة في الموضوعات الأدبية والفلسفية ، مما زاد في نسبة الرسوب في امتحانات البكالوريا في هذين الفرعين خاصة . بينما نرى الدقة التي تقوم عليها العلوم الطبيعية والرياضية وبعدها عن حذلقات المتنطعين من الفاحصين ، كانت تحمي الطلاب من نزوات اولئك وبالتالي من الرسوب والسقوط في الامتحان ، الامر الذي حدا بالفئة الثانية الى ان تتخذ طريقها الى العلوم والرياضيات تجنباً لتلك الكارثة لا تمشياً مع مواهب اصحابها .

ثالثاً – وهناك الفئة الثالثة التي حشرت نفسها مع سابقتيها دفاعاً عن النفس من الشعور بالنقص اذ راحت تزج نفسها بين أفراد الفئتين الاولين علها تفوز بما ستفوزان به من نجاح في الامتحانات لنيل البكالوريا . ولكن هيهات !

واذا دل تعليلي هذا على اني لا أرى في ذلك الاتجاه بادرة خير فاني اقرر في الوقت نفسه انه لا بد ان يعود التوازن بين قطبي حياتنا اذا ما قدر لنا ان نحيا في المستقبل الحياة الصحيحة المثلى حقاً .

زكي النقاش
مدير كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

الأبعد والأبقى من حاجاتنا

ان ايثار طلابنا الالتحاق بشعب الدراسة العلمية على الالتحاق بشعب الدراسة الادبية (بمعناها العام) هو ظاهرة طبيعية في هذا الدور من حياتنا. ولهذه الظاهرة عدة اسباب أهمها :

١ – ان مجتمعنا لم يبلغ بعد درجة من الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي تسمح لطلابنا ان يسلكوا سبل ثقافتهم دون النظر الى الاعمال او الوظائف التي سيتولونها بعد دراستهم . ومن الظاهر البين ان المهن الحرة ، كالطبابة والهندسة والزراعة وسواها ، تعود على اصحابها بفوائد مادية اوفر مما تجلبه الثقافة الادبية .

٢ – اننا في المراحل الاولى من نهضتنا الجديدة ، ومن الطبيعي أن نهتم في هذه المراحل بالنواحي المادية والعملية من حياتنا اكثر منا بالنواحي الثقافية الخالصة .

٣ – ان روح العصر عموما اقرب الى تعزيز التكنيك والجهد العملي منها الى تعزيز الثقافة الحرة.

ان هذا الاقبال على التثقف العلمي له فائدته لتنظيم حياتنا من مختلف نواحيها ، كما انه ضروري جداً لبقائنا كأمة في عصر يكاد يقوم كله على العلم. ولذا وجب تعزيز هذا التثقف قدر الامكان . ولكن حياة الامة لا تكون صحيحة ثابتة الا اذا قامت على فهم دقيق للغايات ووعي للمشاكل الانسانية الاصيلة وللمبادىء التي تقوم عليها الحياة السليمة . ولذا وجب ان تعزز هذه الناحية الثانيةمن ثقافتنا . ولا يتم ذلك الا اذا قدر افرادنا وجماعاتنا وقدرت حكوماتنا خطرها ، فاهتمت بها ، وهيأت لها الاسباب ، وسهلت لأصحابها سبل الحياة وقسطاً وافياً من الاستقرار . عندئذ لا يكون اهتمامنا مقصوراً على الاقرب والادنى من حاجاتنا القومية والانسانية فحسب ، بل يتناول الابعد والابقى منها كذلك .

قسطنطين زريق

رئيس جامعة بيروت الاميركية بالوكالة

لا بد من رد الفعل

يعود سبب الإقبال على الدراسة العلمية الى عوامل عديدة هذه أهمها :

١ – أول ما نلاحظه في حياتنا الحاضرة ، حين نقوم باحصاء ما ، ان عدد الذين يعيشون من فروع الحياة «التكنيكية» يتزايدون يوماً بعد يوم، كما أن حياتنا الجديدة أصبحت تعتمد اعتماداً رئيسياً على « التكنيك » الذي اكتسح جميع حقول النشاط العالمي .

٢ – ومن العوامل ايضاً ما يعود الى قانون العرض والطلب، فقداحتجنا الى «تكنيكيين» فلم يكد الإعلان عن هذه الحاجة يظهر ، حتى اندفع عدد كبير ، لعله اكبر من المطلوب ، نحو الفروع « التكنيكية » . وأرى انه لا بد ان يأتي وقت ينقلب فيه الوضع ، فيصبح العرض اكثر من الطلب ... وعندئذ يحدث شيء من رد الفعل .

٣ – ولا ننسى ناحية هامة ، وهي ان الالة أقل سماحاً من الانسان . فقد يمكن لكثير من الناس ان يدرسوا الفلسفة أو ان يحاضروا في الأدب وتاريخه، وهم يحملون شهادات في الحقوق، أو لا يحملون شهادات... فينقل الناس منهم ذلك بارتياح... ولكن ليس في وسع إنسان ان يدير آلة اذا لم يكن عارفاً بطرق ادارتها ، فالالة قاسية حاسمة في معاملتها للانسان ، وهي تفضح الجهلة بسرعة .

قد يتقدم عشرات المرشحين لمراكز التعليم من الذين لا يحسنون فيهشيئاً ، ولكن لن يجرؤ احد على ان يقود طائرة اذا لم يكن ماهراً حقاً في قيادتها.

٤ – وعامل رابع ، هو ان مستقبل المشتغلين بالشؤون العلمية مضمون اكثر من مستقبل غيرهم. وعندما وضعت الحكومة اللبنانية ملاكاً ثابتاً للمعلمين، اشتد الاقبال على الدراسات الانسانية ، والدليل على ذلك ان مدرسة الآداب في الأكاديمية اللبنانية تضم من الطلاب بقدر ما تستوعب تماماً .

٥ – والاتجاه نحو الدراسة العلمية ظاهرة لا تقتصر على بلادنا فقط، وانما هي ظاهرة عالمية ، وفي كل بلد تظهر صحف ومجلات للاطفال لا تتناول الا الشؤون العلمية الحديثة ، فتتحدث عن السيارة وأجزائها والكهرباء وشؤونها والراديو وتفاصيله . واذا ظهر الاتجاه العلمي قوياً صارخاً في لبنان فيعود ذلك الى ان « التكنيك » كان فيه ضعيفاً قبل الحرب ، فلما انتهت الحرب حاول ان يقوي هذا الضعف ، فجاء على شكل انقلاب قوي في الاتجاه الدراسي .

على ان الذي نرجوه ان لا تتغلب الآلة على الانسان ، بل ان تظل طيعة في يده ، وان لا تكتسحه بل ان يسيطر عليها ويكون لها سيداً . فاذا ارتقت الآلة وحدها ، دون ان يرتقي الانسان، فهنا يكمن كل الخطر ...

الكسي بطرس

رئيس الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة

بادرة خير

اعتقد أن الجواب على سؤالكم يقتضي دراسة احصائية دقيقة . فأنا أجهل عدد الطلاب في السنتين اللتين تعدان للبكالوريا ولو تسنى لي معرفة عدد المنتمين الى الفرع الأدبي وعدد المنتمين الى الفروع العلمية في كل من المدارس الثانوية لهان علي الجواب .

لقد لاحظنا طبعاً ميلاً متزايداً الى الالتحاق بشعب الدراسة العلمية ، وقد يكون ذلك ناتجاً عن سهولة اجتياز الامتحانات في الفروع العلمية بالنسبة الى الفروع الادبية ، وهذا ما لاحظته عند تلامذتي الذين يعلقون آمالهم على العلوم الطبيعية والكيمياء والفيزياء وهي لا تفرض الا الحفظ غيباً في حين ان الفلسفة والاداب تتطلب تفكيراً شخصياً يشعر اكثر الطلبة بعجزهم عنه .

ولا ريب ان في الاتجاه العلمي بادرة خير إزاء الفكر العربي في العصر الحاضر، لأننا بحاجة ماسة الى التفكير العلمي الصحيح، فالحضارة لا تقوم على نظم الشعر وتدبيج المقالات الادبية وحسب، بل تقوم على العلم المرتكز على المشاهدة والاختبار . فعلى مدارسنا والمشرفين على ادارتها أن يستغلوا ميل الطلاب هذا ، ويوجهوه نحو تكوين عقلية علمية صحيحة تعيد للامة العربية المركز الذي فقدته منذ ان انصرفت عن العلم ومالت الى الادب الصرف .

الدكتور خليل الجر

مدير الجامعة اللبنانية

صدر حديثاً

الجزء الثامن من سلسلة « علّم نفسك »

مصرع الديموقراطية

في العالم الجديد

الثمن ليرة ونصف ● «دار العلم للملايين»